الفصل الثالث

استِعْلاَؤُكَ بِالإِيمان
لاَ يُنْسِيْكَ قُدُرَاتِكَ

إن من شر ما يبتلى به القوى اغتراره بقوته الموجودة .. وأسوأ منه أن ينخدع الضعيف بإمكانياته المحدودة .. والأسوأ والأسوأ أن يلبس الضعف بلباس القوة .. ويغتر الضعيف بأن يأتى ذكره على لسان عدوه القوى فيظن بذلك أنه يفزعه ويرعبه .. أو أنه بوسعه فعلا أن يقضى عليه .. فتنتج بذلك هذه الصور العجيبة .. والتى كانت نتائجها مؤسفة بالنسبة لأصحابها .

فهتلر كان قويا بالفعل .. ولكنه لما اغتر بقوته فأخذ يتوسع بغير حساب كانت نهايته ونهاية قوته .. وصدام انخدع بالهالات الإعلامية الضخمة التى أثيرت حول قوته . فقاتل إيران ، وغزا الكويت ، وفرق شمل الأمة ، ودخل فى مغامرات خاسرة كلها باءت بالفشل ، ولم ينته الأمر عند مجرد فشل مغامراته ، وإنما دمرت دولته ، وذهبت قوته .

وتنظيم القاعدة رغم أنه لم يعد كونه مجرد تنظيم أو جماعة غير ممكنة .. إلا أنه قد اختلطت عليهم الأمور فكانت لهم حسابات غريبة .. حيث إنهم إن صح التعبير أعلنوا الحرب على العالم بأسره فحاربوا أمريكا فى الحادى عشر من سبتمبر ، وحاربوا روسيا فى الشيشان وداغستان ، وحاربوا الهند فى

كشمير .. وتوعدوا كل الدول الغربية ومدوا مسرح عملياتهم على الأراضى الإسلامية والعربية .. فقاموا بتفجيرات بالى ، والرياض ، والدار البيضاء ، ومن قبل فى اليمن .. كل ذلك وهم لا يملكون من أسباب القوة شيئا مما يعتد به فى ميزان القوى .. فى زمن الصواريخ عابرة القارات ، والقنابل النووية ، والطائرات ذات القدرات الفائقة .. ولئن سألتهم ليقولن نحن أهل الإيمان ، وقد توكلنا على اللّه .. وهذا فى الحقيقة خلط خطير له أسوأ الأثر على الأمة الإسلامية ، حيث أجابوا على عدم امتلاك الأسباب بأنهم معهم الإيمان ؛ وعلى إهمال حساب قدراتهم بأن معهم التوكل .. فخلطوا الأمور خلطا بينا ، لم يقف أثره السيىء عليهم فقط ، وإنما امتد ليصيب كل شبر فى أرجاء الأمة الإسلامية .. إما تدميرا لقوة كانت موجودة .. واستنفادا لطاقات كانت مفيدة وإما بتلبيس هو أشد خطرا على عقول أبناء الأمة من أسلحة عدوها ، والنتائج واضحة ومحددة سقوط أفغانستان ثم تلتها العراق تحت سيطرة أمريكا .. وأصبحت الدول الإسلامية والعربية هدفا محددا للآلة العسكرية الأمريكية .. وموورست عليها الضغوط التى لم

يسبق لها مثيل لنقض البقية الباقية من عرى الإسلام .. وطمس الآثار المتبقية من معالم الهوية الإسلامية .. والذريعة فى ذلك كله الحرب على الإرهاب .. والتى لم تعد هناك دولة تجرؤ على أن تسلك مسلك الحياد فيها فضلا عن مسلك المعارضة .. سيما بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر وما تلاها بعد ذلك من تفجيرات بالى بأندونيسيا ، والرياض بالسعودية ، والدار البيضاء بالمغرب .

ولما كان أثر هذه العمليات مباشرا على الإسلام والمسلمين .. وجب علينا أن نقف معها وقفات بعد وقفات لنناقشها من كل زاوية فيها ونبينها من كل وجه لها .. ومن أهم زوايا هذه التفجيرات .. والتى تعتبر منطلقا لمسلك من يقومون بها أنهم يقيمون حساباتهم على أن الإيمان هو سلاحهم وعدتهم ، وإن لم يكن معهم شيء من أسباب القوة .. أو كانت أسباب القوة لا ترجح كفتهم .. ولذلك نحن نناقش هذه المسألة ونوضحها إن شاء اللَّه .. راجين أن تتوجه كل الجهود فيما يصب فى مصلحة ديننا وأمتنا .

وبداية نقول : إن الإيمان هو حقا سلاح المؤمنين وبه ينتصرون .. ولكن الفصل بين الإيمان وبين الأسباب على وجه يهمل الأسباب هو محل الخطأ .. وقد تحدثنا فى الفصل السابق على أنه لا تنافى بين الإيمان والأخذ بالأسباب .. وفى هذا الفصل سنوضح بإذن اللَّه أن الإيمان له دوره الذى حدده له القرآن .. وأنه ينبغى حساب الإمكانيات وعدم إغفال مستوى القدرات قبل خوض أى قتال .. وإلا فإن السُّنن الكونية لا تحابى أحدا .. فمن واجه الدبابة بالبندقية ، وواجه البندقية بالسكين ، وأراد أن يحارب العالم بأسره فشرد ودمر وماتت جماعته فلا يلومن على الإيمان ، ولا ينقمن على التوكل .. ولا يُسيأن الظن بربه ، ولكن عليه أن يلوم نفسه ؛ لأنها خالفت السُّنن الكونية .. وخالفت ما كان عليه نبينا محمد صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه من حساب للأسباب وتقدير للإمكانيات والقدرات .

وهذا استعراض لبعض الشواهد والأدلة على ذلك :

١ - يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن

مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦]
ففى هذه الآية جعل اللّه فى الإيمان للمؤمنين قوة تغلب ضعف قوتهم ، وأوجب عليهم لذلك الثبات أمام عدوهم إذا كانوا ضعفهم فى العدد وهم مثلهم فى مستوى العدة .. أما إذا تفاوتت العدة على وجه لا تأثير فيه للعدد ، فالاعتبار بمستوى القوة بما يتضمن من عدد وعدة معا .. ونضرب لذلك مثالًا : إذا كان عدد المسلمين على الأرض عشرة آلاف مع كل منهم بندقية .. وكان عدوهم يملك الطائرات قاذفة القنابل والتى لا يمكن رصدها ، وكانت كل طائرة على متنها خمسة أفراد فقط فهل يجب على المسلمين أن يثبتوا أمام عدوهم إذا كان عدوهم خمسة عشر رجلًا فقط معهم ثلاث طائرات ؟!! بالطبع لا يجب عليهم ذلك ؛ لأنه لا طاقة لهؤلاء العشرة آلاف بطائرة واحدة فقط على متنها خمسة أفراد وتقذف بالقنابل المدمرة .. فإن قنبلة واحدة فقط أو قنبلتين قد تكون كفيلة بالقضاء على هذه الآلاف العشرة والذين لا تغنى عنهم بنادقهم شيئا .

فإن قيل : الآية إنما نزلت للتخفيف ونفى الوجوب ، إذا كانت قوة العدو أكبر من ضعف قوة المسلمين ، وتبقى بعد ذلك البشارة بالنصر ولا ينتفى جواز قتال العدو وإن كان أغلب من ضعف قوة المسلمين .

قلنا : إن هذا الجواز ليس مطلقا ، وإنما هو مقيد بأن يغلب على الظن أن تتحقق به مصلحة للإسلام والمسلمين .. أما إذا لم تتأت منه مصلحة أو كانت مفسدته تربو على مصلحته ، فلا أحد يقول بجواز ذلك القتال .. فهل يا ترى إذا واجهنا الطائرات بالبنادق يكون هناك مجرد الظن بإمكان دفع غارات الطائرات ، فضلا عن إمكان إحداث نكاية فيها ؟!! فأى مصلحة يا ترى يمكن تحقيقها والأمر كذلك ؟! ثم إن غارة واحدة كفيلة بقتل الآلاف من المسلمين .. فمن ذا الذى سيتحمل هذه الدماء ؟!! وهل يسوغ مع ذلك أن نقول : إن الإسلام يسوغ مثل هذا القتال ؟ ونقول أيضا : إذا جاز لطائفة ما أن تتحمل ما ليس بواجب عليها من القتال ، على فرض أنها يمكنها تحقيق مصلحة من ذلك . فهل يسوغ لهذ الطائفة

أن تحمل سائر الأمة على قتال لا طاقة لها به ولا يجب عليها ، بل وفيه من المفاسد والأخطار على الأمة مالا طاقة لها به ؟!

ونعود فنقول : هل حساباتنا هذه هى مما أوجبه الإسلام ؟ أم أنها حسابات مادية ينبغى أن نستعلى عنها بالإيمان ؟!

٢ - فى غزوة الأحزاب .. لما علم النبى صلى اللّه عليه وسلم أن إمكانيات المسلمين المادية لا تسمح لهم بصد عدوهم ، فضلا عن هزيمته .. حفر الخندق حول المدينة احتماء من قوة المشركين .. ورغم أنه أعظم الناس إيمانا ومعه خير الناس وأعظمهم إيمانا ، إلا أنه لم يعبر الخندق ليقاتل المشركين ، ولم يحرض أحدا من أصحابه على ذلك ، ولم يسمح لأحد منهم بذلك .. بل كان كل همه صلى اللّه عليه وسلم أن ينصرف الأحزاب عن المدينة .. وكان كل هدفه أن يحفظ قوة المسلمين .. ولما علم النبى صلى اللّه عليه وسلم أن بنى قريظة قد غدروا ونقضوا عهدهم .. وأن ذلك معناه أن يزحف الأحزاب نحو المدينة من ناحية بنى قريظة فى جنوب المدينة حيث كان الخندق محفورا فى شمال المدينة ؛ لذلك فكر النبى صلى اللّه

عليه وسلم أن يصالح غطفان على ثلث ثمار المدينة فى مقابل أن ينصرفوا عن قتاله ويتركوا قريشا وحدها ومعها بنو قريظة .. فهو صلى اللّه عليه وسلم فى ذلك لم يفكر بمنطق أن الإيمان وحده يكفى ولا ضرورة للأسباب ، وكذلك لم يفكر أن معه جيشا مؤمنا يستطيع أن يرد به الأحزاب .. ولكنه حسب إمكانياته ، ولم يغفل قدراته ، وقد علم أنه وإن كان معه جيش متسلح بالإيمان إلا أن هذا الجيش رغم إيمانه لا يستطيع مجابهة الأحزاب .. وقد تعامل مع ذلك كله فى إطار لا يخرج عن حسابات القوة وقواعد الحرب .. مع أنه صلى اللّه عليه وسلم أعظم الناس توكلا واستعلاء بالإيمان .

٣ - فى غزوة الطائف .. حاصر النبى صلى اللّه عليه وسلم ثقيفا مدة غير قليلة ، ونصب عليهم المنجنيق ، ووقعت مراماة أصيب فيها المسلمون بجراحات ، فلما استعصت حصونهم على المسلمين أن يفتحوها انصرف عنهم النبى صلى اللّه عليه وسلم دون أن يفتحوها لما رأى أنه لن يستطيع فتحها .. وهذا يبين أن مسائل القتال تتوقف على حساب الإمكانيات

والقدرات .. وأنها لا تتوقف على مجرد الإيمان والتوكل فقط .. وإلا فلماذا انصرف النبى صلى اللَّه عليه وسلم دون أن يفتح حصون ثقيف ؟!

٤ - فى بيعة العقبة الثانية .. لما قال العباس بن نضلة رضى اللَّه تعالى عنه للنبى صلى اللَّه عليه وسلم : « والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا » قال : فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « لم اومر بذلك »[1] .

وهنا سؤال : ما هى الحكمة أن اللَّه لم يأمر نبيه بالقتال فى مكة ؟.. الحكمة تكمن فى أن ميزان الأسباب لم يكن فى صف المسلمين الأوائل من صحابة الرسول صلى اللَّه عليه وسلم فى مكة ، وكان قتال الكفار سيؤدى إلى استئصال الفئة المؤمنة الوحيدة الموجودة على وجه الأرض ؛ ولذلك لم يأمرهم اللَّه العليم الحكيم بالقتال .. وهذا كله يدلنا على أن القتال لا يتوقف على عامل الإيمان فقط ، وإنما تقوم حساباته ابتداء

(١) رواه أحمد فى مسنده [٣/٤٦٠] عن كعب بن مالك الأنصارى رضى اللَّه تعالى عنه .

على الأسباب ثم يتدخل الإيمان لحسم الصراع بعد تناسب الأسباب وإحكامها .. واللَّه أعلم .

٥ - بالنظر إلى بعض ما يمكن أن نسميه سياسات استراتيجية التزمها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فى صراعه مع أعدائه طوال حياته .. نجدها جميعا تشير إشارة واضحة إلى إدراكه صلى اللَّه عليه وسلم دائمًا لإمكانياته إدراكا صحيحا ، وعدم نسيانه صلى اللَّه عليه وسلم قدراته .. رغم ما حققه من انتصارات شده لها العرب والعجم ، فضلا عن كونه رسول اللَّه .

فهو لم يستثر أعداءه عليه جملة واحدة ، بل بمجرد إقامة دولته فى المدينة ، عقد مع اليهود الذين يساكنونه المدينة ما يمكن أن نسميه « باتفاقية دفاع مشترك » .. ولم يحارب صلى اللَّه عليه وسلم على جبهتين فى وقت واحد .. فلم يغز خيبر حتى عقد صلح الحديبية مع قريش ولما تحزب عليه الأحزاب فكر فى تحييد غطفان .. وهذا كله واضح وصريح أنه يجب مراعاة الإمكانيات والقدرات .. وأن ذلك ينبغى ألا يغفل بزعم الاستعلاء بالإيمان إذ لا تنافى بينهما .

٦ - فى غزوة مؤتة .. لما تولى خالد بن الوليد إمارة الجيش خطط مباشرة للانسحاب بالمسلمين حفاظا عليهم مما رأى أنه هلاك محقق مع أنه سيف اللَّه المسلول وجيشه يتألف من خيار الصحابة .. ولما نجح فى الانسحاب بالجيش ورجع إلى المدينة قال لهم الناس : يا فرار . فقال النبى صلى اللَّه عليه وسلم : « بل هم الكرار إن شاء اللَّه ، وأنا فئتهم »[1] . فلماذا انسحب خالد ؟! ولماذا سمى النبى صلى اللَّه عليه وسلم انسحابه كرا ؟! لاشك أن ذلك كله راجع إلى حسابات الإمكانيات والقدرات ..فالمسلمون ثلاثة آلاف وعدوهم يزيد على مائتى ألف .. فلم ينس خالد هذه الحسابات مع عظم إيمانه ومع أنه سيف اللَّه المسلول .. ولك أن تتصور ماذا لو لم ينسحب خالد رضى اللَّه تعالى عنه بالمسلمين ؟! إنه وبنفس المنطق الذى فكر به خالد كان الأمر سيؤول إلى فناء جيش المسلمين عن آخره ، بل كان الأمر لن يتوقف عند ذلك الحد ، بل ربما استتبع ذلك نية الروم القضاء على دولة الإسلام بالمدينة .

(١) راجع سيرة ابن هشام [٥/٢٢:٣٤] .

٧ - فى موقعة الجسر .. طلب الفرس من المسلمين أن يعبروا إليهم الجسر ، فأراد قائد المسلمين أبو عبيدة الثقفى العبور إليهم ، ونهاه المثنى بن حارثة بخبرته العسكرية عن ذلك ؛ لأن ذلك سيمكن عدوهم من إيقاع الهزيمة بهم وقتل أعداد كبيرة منهم .. ولكن أبا عبيدة الثقفى صمم على العبور ، حتى لا يقول الفرس : إن المسلمين جبنوا عنهم .. فكانت حماسة الإيمان هى التى تدفع أبا عبيدة للعبور ، بينما كانت الحسابات العسكرية والتى تمسك بها المثنى تنهى عن ذلك .. فلما أغفلت حماسة الإيمان الحسابات ، ولم تقف عند مستوى القدرات كانت النتيجة هزيمة المسلمين وقتل أربعة آلاف من المسلمين منهم أبو عبيدة الثقفى رضى اللّه تعالى عنه ، فلم تكن حماسة الإيمان وكمال التوكل شافعا لمن خالف الأسباب وأهمل حساب القوة .

● وبعد استعراضنا لهذه الأدلة السابقة نقول :

إن الإيمان له دوره الذى حدده القرآن فىصراع المؤمنين مع أعدائهم .. وإن الاستعلاء بالإيمان ينبغى ألا ينسينا قدراتنا ،

وألا يحملنا على التقصير فى الأخذ بالأسباب .. فإن السنن الكونية لا تحابى أحدا .. فمن أهمل الأسباب فلا يرتقب إلا الفشل ، ولا يتوقع إلا الهزيمة .. سنَّة اللَّه التى قد خلت من قبل .. ولن تجد لسنة اللَّه تبديلا .. ولن تجد لسنة اللَّه تحويلا .

فإن قيل : كيف تقولون هذا والنبى صلى اللَّه عليه وسلم قاتل فى بدر بعدد يساوى ثلث عدد المشركين ، وفى أُحد أقل من الثلث ، وفى الأحزاب كذلك ؟!

نقول : فى بدر لم يكن النبى صلى اللَّه عليه وسلم خارجا للقتال أصلا ؛ وإنما ليغنم عير أبى سفيان فأفلتت العير وجاء الجيش المكى بقيادة أبى جهل لقتال المسلمين .. ولم يكن النبى صلى اللَّه عليه وسلم هو الذى نصب ذلك القتال أصلا .. وفى أُحد كانت قريش هى التى ذهبت إلى قتال النبى صلى اللَّه عليه وسلم تريد استئصال شأفة المسلمين فى المدينة ، فلم يكن هناك بد من القتال .. وفى الأحزاب ، لم يقاتل النبى صلى اللَّه عليه وسلم إلا مراماة يسيرة من خلف الخندق ، وقد تحاشى النبى صلى اللَّه عليه وسلم الالتحام المباشر مع المشركين لعلمه

أن ذلك يؤى إلى استئصال شأفة المسلمين ، وإنما خندق النبى صلى اللَّه عليه وسلم حول المدينة فى شمالها ، ولما غدرت بنو قريظة فكر فى مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة .. وذلك كله مراعاة لقدرات جيش المسلمين ، واعتبارا لقوة عدوهم .. ثم إنه إذا ساغ إهمال هذه الاعتبارات السابقة ، وقلنا : إنه قد أمكن للعدد القليل مجالدة العدد الفائق بما يزيد على الضعف .. فهل يمكن مقارنة تفاوت العدد فقط مع تفاوت الأسلحة تفاوتا شاسعا ؟! هل يسوغ مع ذلك أن نقول : إن قتال مجموعة لا تتسلح بأكثر من البندقية لدولة تقاتل بالصواريخ عابرة القارات وتملك الأسلحة النووية هو أمر مقبول عقلا ، أو أنه أمر مندوب شرعا ؟!

لا شك أن هذا الأمر أوضح من أن يحتاج إلى دليل من النقل أو العقل .. واللَّه سبحانه أعلم وأحكم .

ولنا هنا وقفة .. نود أن نشير فيها إلى أن المؤمنين ينبغى أن يضعوا لهم من القرارات أو يختاروا من الخيارات ما يتناسب مع ظروفهم وإمكاناتهم ، حتى لا يقعوا تحت طائلة أحد أمرين : إما العجز الذى يتبعه اليأس والفشل ، أو التهور الذى يستتبعه

الدمار والانهيار والفناء .

ثم إن الجماعة المسلمة أو الدولة المسلمة أو الأمة الإسلامية كلها لو وضعت خيارات فوق طاقتها لسخر منها الناس ولتألبت عليها الأمم .. ولننظر إلى هديه صلى اللَّه عليه وسلم بعد الأحزاب ، قال : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا »[1] ، فلو أنه صلى اللَّه عليه وسلم قال ذلك فى مكة حين كان مستضعفا ، هل كان ذلك مناسبا أو ملائما لحاله ؟! لاشك أن المشركين وقتها سيعتبرون ذلك هراء وسيسخرون منه صلى اللَّه عليه وسلم ، وربما أدى ذلك إلى تألب المشركين على المسلمين لاستئصالهم والقضاء عليهم وهم وقتئذ لا يملكون إلا أجسادهم المنهكة من وطأة التعذيب مع أن قلوبهم مليئة بالإيمان .

والناظر إلى خطاب القرآن العظيم فى مكة يرى أنه يربى أفراد الجماعة المسلمة على الصبر ويغرس ويعمق فيهم الإيمان ويملأ قلوبهم وجوارحهم بالأخلاق الحسنة والقيم النبيلة ، فهذا ما يتناسب مع حالة هؤلاء المؤمنين وقتها وهو خطاب ملائم لفئة

(١) رواه البخارى [٤١١٠] عن سليمان بن صرد رضى اللَّه تعالى عنه .

مستضعفة لا تملك من أسباب الدنيا والمنعة شيئا .

ثم إنه لما هاجر النبى صلى اللّه عليه وسلم إلى المدينة تغير الخطاب القرآنى ، حيث بدأت قواعد الدولة الإسلامية ترسخ يوما بعد يوم فبدأ الأمر بالدفاع عن الدولة الوليدة وتنزل التشريع بما يقيم كيان الدولة وينظم شئونها .

وبعد انتصارات الدولة الإسلامية فى عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم جاء دور الانتشار والخروج من الجزيرة إلى آفاق العالمية ، فبدأت مكاتبة الملوك والأمراء كمرحلة جديدة تؤذن ببناء حضارة عظيمة تفوق كل الحضارات وتعلو عليها وتسمو فوقها .

فلو أن الخطاب القرآنى قد تبدل وقتها فى مكة ، أكان ذلك سائغا ؟! حاشا وكلا .. فهل يسوغ أن يخاطب المؤمنون وهم لا يملكون شيئا فى مكة بالجهاد أو بإقامة الدولة ؟! وهل يكون مناسبا أن يؤمر هؤلاء المستضعفون بمخاطبة الملوك والأمراء ودعوتهم إلى الإسلام ؟! هل سيسمع لهم أحد إن هم فعلوا ذلك ، أو يلتفت إليهم أحد ؟!

إنها الحكمة البليغة فى وضع كل شىء فى نصابه وأوانه .. فقيادة النبى صلى اللَّه عليه وسلم الحكيمة لأفراد جماعته ثم أمته بعد ذلك تفرض عليه أن يتحسس ويتعرف على ما يمكن لأتباعه وأبناء أمته القيام به ، حتى لا يؤدى بهم التحدث فى أمور لا يقدرون عليها إلى المداهنة وتغيير الحق واعتياد الكذب بقول مالا يستطيعون فعله ، أو إلى استعداء العالم كله عليهم ، فإن المزايدة على الحق تضيع الممكن فى طلب المستحيل .

وكذلك لو نظرنا إلى قول النبى صلى اللَّه عليه وسلم وهو على فراش الموت : « لا يبقى دينان فى جزيرة العرب »[1] لو أنه صلى اللَّه عليه وسلم قال ذلك قبل فتح مكة أو قبل ذلك ، أيكون بوسع الفئة المؤمنة محاربة قبائل العرب جميعا فى الجزيرة ، وكذلك محاربة القبائل التابعة للفرس أو الروم وبالتالى استعداء الفرس والروم .. كل ذلك لم يكن من القائد الحكيم العظيم صلى اللَّه عليه وسلم لمعرفته بقدرات جماعته وأمته وقتها ، فلم

(١) جزء من حديث رواه البيهقى الكبرى [٦/١١٥/١١٤٠٩] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه .

يعرضها للتلف والفناء من جراء قرارات متسرعة أو حماسة متوقدة أو شجاعة فى غير موضعها أو حمية مخلصة فى غير مكانها أو استعلاء بالإيمان دون النظر إلى ما سوى ذلك .

إنها القيادة الرشيدة ، والإمامة الحكيمة التى تختار من الأقوال والأفعال والأحكام ما يتماشى مع ما تستطيعه الأمة كلها .. ومن هنا فعلى كل قائد أو مربى أن ينظرفى واقع أمته وأتباعه وأبنائه فيتخير من الأحكام الشرعية ما يناسبهم .. فإن القائد الحكيم هو الذى يجمع بين حكم الشرع وبين الواقع وبين قدراته وبين ما يخاطبه به الشرع يجمع بين الواجب والواقع ، أى يجمع بين الواجب الشرعى والواقع العملى فلا يترك الواجب الشرعى نتيجة ضغط الواقع عليه ، ولا يهمل قراءة الواقع العملى بحجة إعمال النصوص الشرعية فحسب ، بل يجمع بين ذلك كله فى منظومة متناغمة تنتج ثمارا يانعة وتؤتى أُكلها كل حين بإذن ربها .

● وفى الختام .. نهمس فى أذن شباب الإسلام الطاهر ، الذى يحب اللَّه ورسوله ، ويغار على دينه وحرماته ، فنقول له :

إن اللَّه شرع لنا فى التعامل مع الواقع خيارات متعددة منها الصبر والعفو والصفح والصلح والتحالف وغيرها .

والواجب على المسلمين أن يختاروا من هذه الخيارات ما يناسب واقعهم ويحقق مصالحهم .. أما أن نحصر الإسلام فى القتال ، ونخوض غمار صراع لا طاقة لنا به ، وننسى قدراتنا وإمكانياتنا ونتغافل عن ذلك كله بدعوى الاستعلاء بالإيمان ، فهذا ولا شك مناف لمنهج الإسلام وتشريعه الحكيم .. إذ أنَّ ذلك لا ينتج عنه إلا تمكين لأعداء الإسلام من الأمة ومقدراتها وتضييع لما بقى من عرى الإسلام ، فضلا عن إهدار دماء المسلمين وتعريضهم للإذلال والمهانة .. كما حدث فى أفغانستان والعراق ، وكما وضح من ممارسة الضغوط الشديدة على حكومات البلدان الإسلامية لطمس المعالم المتبقية من الهوية الإسلامية ، فضلا عما سببه ذلك من إحكام الحبل حول رقبة الحركات الإسلامية وشبابها الطاهر .. فهل نحن منتهون ؟!!

اللَّهم اجعلنا هداة مهتدين ، لا ضالين ولا مضلين .. والحمد للَّه رب العالمين .